مؤسسة الهواري
للمحاماة والاستشارات القانونية

ذاكرة العدالة · قصص تاريخية

القاضي الذي باع الأمراء

حكم أغضب أمراء الدولة، فكاد يكلف القاضي حياته، وانتهى بعودة السلطان إليه.

القرن السابع الهجري

قاضٍ لا يساوم

قبل أن يصل العز بن عبد السلام إلى مصر، كان قد اصطدم في دمشق بحاكمها الصالح إسماعيل حين عارض تحالفه مع الصليبيين وتسليمهم مدنًا، فعُزل من مناصبه. ووصل إلى مصر سنة 639هـ، فولاه الملك نجم الدين أيوب الخطابة والقضاء.

المسألة التي فجرت الأزمة

كان أمراء المماليك يمسكون بالجيش والإدارة. لكن العز رأى أن من لم يثبت عتقه تبقى تصرفاته غير نافذة، فأوقف ما يتصل بهم من بيع وشراء وزواج وغيره من التصرفات. ولم يكن ذلك خلافًا نظريًا؛ فقد تعطلت مصالح أقوى رجال الدولة.

أفتى بأن يباعوا في مجلس عام، ويرد ثمنهم إلى بيت مال المسلمين، ثم يعتقوا بطريق شرعي، فتستقيم تصرفاتهم بعد ذلك.

التهديد والخروج

غضب الأمراء، وتذكر الروايات أن نائب السلطان قصد بيت الشيخ ومعه جماعة منهم يريدون قتله، وأن ابنه خاف عليه، فأجابه بعبارة حفظتها كتب السيرة: «أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله». وغضب الملك نفسه ورأى أن الأمر ليس من شأن القاضي.

لم يدخل العز في مساومة. عزل نفسه عن القضاء، وقرر الرحيل إلى الشام، فخرج خلفه العلماء والناس. عندها أدرك الملك أن خروج القاضي ليس خبرًا عابرًا، فلحق به وترضاه، ووعده بتنفيذ ما حكم به، فعاد ونفذه، وعُرف منذ ذلك اليوم ببائع الأمراء.

الدرس الباقي

القرار القضائي يستمد قوته من ثقة الناس في استقلال من أصدره.

المصادر

- إسلام أونلاين
- الجزيرة: العز بن عبد السلام

هل لديك مسألة قانونية؟ تحدث مع مؤسسة الهواري

الهاتف وواتساب: 01022731221 · الموقع: hawarylegal.com · البريد: hawarylegal@gmail.com